

تفسير ابن كثير

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ^ط وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ
بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا
تَقْتُلُونَ

ينعت ، تبارك وتعالى ، بني إسرائيل بالعتو والعناد والمخالفة ، والاستكبار على الأنبياء ،
وأنهم إنما يتبعون أهواءهم ، فذكر تعالى أنه أتى موسى الكتاب وهو التوراة فحرفوها وبدلوها
، وخالفوا أوامرها وأولوها . وأرسل الرسل والنبیین من بعده الذين يحكمون بشريعته ، كما
قال تعالى : (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا
والرانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) الآية [المائدة : 44
[، ولهذا قال : (وقفينا من بعده بالرسول) قال السدي ، عن أبي مالك : أتبعنا . وقال
غيره : أردفنا . والكل قريب ، كما قال تعالى : (ثم أرسلنا رسلنا تترا) [المؤمنون : 44]
حتى ختم أنبياء بني إسرائيل بعيسى ابن مريم ، فجاء بمخالفة التوراة في بعض الأحكام ،
ولهذا أعطاه الله من البيئات ، وهي : المعجزات . قال ابن عباس : من إحياء الموتى ،

وخلقه من الطين كهيئة الطير فينفخ فيها فتكون طيرا بإذن الله ، وإبرائه الأسقام ، وإخباره بالغيوب ، وتأَييده بروح القدس ، وهو جبريل عليه السلام ما يدلهم على صدقه فيما جاءهم به . فاشتد تكذيب بني إسرائيل له وحسداهم وعنادهم لمخالفة التوراة في البعض ، كما قال تعالى إخبارا عن عيسى : (ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم) الآية [آل عمران : 50] . فكانت بنو إسرائيل تعامل الأنبياء عليهم السلام أسوأ المعاملة ، ففريقا يكذبونه . وفريقا يقتلونه ، وما ذاك إلا لأنهم كانوا يأتونهم بالأموال المخالفة لأهوائهم وآرائهم وبإلزامهم بأحكام التوراة التي قد تصرفوا في مخالفتها ، فلهذا كان يشق ذلك عليهم ، فيكذبونهم ، وربما قتلوا بعضهم ؛ ولهذا قال تعالى : (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتهم وفريقا تقتلون) والدليل على أن روح القدس هو جبريل ، كما نص عليه ابن مسعود في تفسير هذه الآية ، وتابعه على ذلك [ابن عباس و] محمد بن كعب القرظي ، وإسماعيل بن أبي خالد ، والسدي ، والربيع بن أنس ، وعطية العوفي ، وقتادة مع قوله تعالى : (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين [بلسان عربي مبين]) [الشعراء : 193 - 195] ما قال البخاري : وقال

ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عروة ، عن عائشة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد ، فكان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن
نيك " . وهذا من البخاري تعليق . وقد رواه أبو داود في سننه ، عن لوين ، والترمذي ، عن
علي بن حجر ، وإسماعيل بن موسى الفزاري ، ثلاثتهم عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ،
عن أبيه وهشام بن عروة ، كلاهما عن عروة ، عن عائشة به . وقال الترمذي : حسن
صحيح ، وهو حديث أبي الزناد . وفي الصحيحين من حديث سفيان بن عيينة ، عن الزهري
، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة : أن عمر مر بحسان ، وهو ينشد الشعر في
المسجد فلحظ إليه ، فقال : قد كنت أنشد فيه ، وفيه من هو خير منك . ثم التفت إلى
أبي هريرة ، فقال : أنشدك الله أسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أجب
عني ، اللهم أيد بروح القدس " ؟ . فقال : اللهم نعم . وفي بعض الروايات : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لحسان : " اهجهم أو : هاجهم وجبريل معك " . [وفي شعر
حسان قوله : وجبريل رسول الله ينادي وروح القدس ليس به خفاء] وقال محمد بن

إسحاق : حدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين المكي ، عن شهر بن حوشب الأشعري : أن نفرا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أخبرنا عن الروح . فقال : " أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه جبريل ؟ وهو الذي يأتيني ؟ " قالوا : نعم . [وفي صحيح ابن حبان أظنه عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن روح القدس نفخ في روعي : إن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب "] . أقوال أخر : قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، حدثنا بشر ، عن أبي روق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس : (بروح القدس) قال : هو الاسم الأعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى . وقال ابن جرير : حدثت عن المنجاب . فذكره . قال ابن أبي حاتم : وروي عن سعيد بن جبير نحو ذلك . [ونقله القرطبي عن عبيد بن عمير أيضا قال : وهو الاسم الأعظم] . وقال ابن أبي نجيح : الروح هو حفظة على الملائكة . وقال أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس : القدس هو الرب تبارك وتعالى . وهو قول كعب . وقال السدي : القدس : البركة . وقال العوفي ، عن ابن عباس : القدس : الطهر . [وحكى القرطبي عن مجاهد والحسن البصري

أنهما قالا : القدس : هو الله تعالى ، وروحه : جبريل ، فعلى هذا يكون القول الأول [وقال ابن جرير : حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد في قوله تعالى : (وأيدناه بروح القدس) قال : أيد الله عيسى بالإنجيل روحا كما جعل القرآن روحا ، كلاهما روح من الله ، كما قال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) [الشورى : 52] . ثم قال ابن جرير : وأولى التأويلات في ذلك بالصواب قول من قال : الروح في هذا الموضع جبريل ، لأن الله ، عز وجل ، أخبر أنه أيد عيسى به ، كما أخبر في قوله : (إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهده وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) الآية [المائدة : 110] . فذكر أنه أيد به ، فلو كان الروح الذي أيد به هو الإنجيل ، لكان قوله : (إذ أيدتك بروح القدس) (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) تكرير قول لا معنى له ، والله أعز أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به . قلت : ومن الدليل على أنه جبريل ما تقدم في أول السياق ; والله الحمد . وقال الزمخشري (بروح القدس) بالروح المقدسة ، كما يقول : حاتم الجود ورجل صدق ، ووصفها بالقدس كما قال :)

وروح منه) فوصفه بالاختصاص والتقريب تكرامة ، وقيل : لأنه لم تضمه الأصلاب والأرحام الطوامث ، وقيل : بجبريل ، وقيل : بالإنجيل ، كما قال في القرآن : (روحا من أمرنا) [الشورى : 52] وقيل باسم الله الأعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره ، وتضمن كلامه قولاً آخر وهو أن المراد روح عيسى نفسه المقدسة المطهرة . وقال الزمخشري في قوله : (ففريقا كذبتهم وفريقا تقتلون) إنما لم يقل : وفريقا قتلتم ؛ لأنه أراد بذلك وصفهم في المستقبل أيضاً لأنهم حاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم بالسم والسحر ، وقد قال ، عليه السلام ، في مرض موته : " ما زالت أكلة خبير تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري " ، وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره .